# أدبنة التاريخ: انتفاضة صفر ١٩٧٧ في روايةٍ (العروج الدامي) لعبدالله الميالي أنموذجاً

الناقد: حميد الحريزي
hamd.hur@gmail.com

**الملخص**

شكّلت انتفاضة زيارة الأربعين لعام ١٩٧٧ والتي تُسمّى بانتفاضة صفر، منعطفاً مهماً في تاريخ المواجهة بين أتباع أهل البيت ﷺ ممن يمارسون شعائرهم بالتزام منقطع النظير منذ مئات السنين، وبين الأنظمة الحاكمة المستبدّة ومنها نظام البعث الذي عُرف باستبداده ومحاربته لتلك الشعائر.

هذه الانتفاضة الصفرية المتمثلة بإصرار الزائرين على مواصلة المسيرة الراجلة من النجف إلى كربلاء رغم قرار المنع، كشفت للرأي العام المحلي والإقليمي، إن إرادة الشعب لا ترضخ لقرارات النظام المستبد الذي ارتبك في قراراته، فانتهك الحرمات وتصدّى بقوة السلاح والرجال لوقف زحف هذه المسيرة السلمية.

وقد كُتب عن هذه الانتفاضة مؤلفات ودراسات وبحوث مختلفة من قبل الباحثين والمؤرخين والأكاديميين، كما تناولها بعشرات المقالات مجموعة من الكُتّاب في الصحف والمجلات المختلفة، وخصوصاً بعد سقوط نظام البعث في عام ٢٠٠٣.

أما في الجانب الأدبي، فإن الانتفاضة لم تحظ بذلك الاهتمام الذي يتناسب مع أهميتها، فلم نرصد إلا بعض قصائد متفرقة هنا وهناك، بيد أن أهم ما رصدناه هو رواية أدبية مهمة أرشفت للانتفاضة بشكل أدبي ممتع ورصين، وهي رواية (العروج الدامي) للقاص عبد الله الميّالي من مدينة النجف الأشرف، وهي الرواية الفائزة في مهرجان السفير الثقافي العاشر لعام ٢٠٢١، وهو المهرجان الذي تقيمه سنوياً أمانة مسجد الكوفة المعظم.

ويمكن لنا كأدباء لدينا اشتغالاتنا الأدبية والنقدية أن نعدّ هذه الرواية ضمن أدب المقاومة، وإن كانت المسيرة الراجلة من النجف إلى كربلاء مسيرة سلمية بكل المعاني، ولكن المقاومة تمثلت بذلك الإصرار الكبير والحماس منقطع النظير على مواجهة النظام المستبد رغم جبروته وبطشه وقواته المسلحة.

# Literarization of History: The Safar 1977 Uprising in the Novel The Bloody Ascension by Abdullah Al-Miyali as a Model

Hamid Al-Huraizi


## Abstract

The Arbaeen uprising of 1977, known as the Safar uprising, was an important turning point in the history of the confrontation between the followers of the Ahl al-Bayt, peace be upon them, who have been practicing their rituals with unparalleled commitment for hundreds of years, and the tyrannical ruling regimes, including the Baath regime, which was known for its tyranny and its fight against those rituals.

This uprising, represented by the insistence of the visitors to continue the march on foot from Najaf to Karbala despite the ban decision, revealed to local and regional public opinion that the will of the people does not submit to the decisions of the tyrannical regime, which was confused in its decisions, violated the sanctities, and confronted with the force of arms and men to stop the advance of this peaceful march.

Various books, studies and research have been written about this uprising by researchers, historians and academics, and it has also been covered in dozens of articles by a number of other writers in various newspapers and magazines, especially after the fall of the Baathist regime in 2003.

On the literary side, the uprising did not receive the attention that is commensurate with its importance. We only observed some scattered poems here and there. However, the most important thing we observed was an important literary novel that archived the uprising in an enjoyable and solid literary form, which is the novel (The Bloody Ascension) by the short story writer Abdullah Al-Mayali from the holy city of Najaf. It is the winning novel in the tenth Al-Saffir Cultural Festival for the year 2021, which is the festival held annually by the Secretariat of the Great Mosque of Kufa.


مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الرابع، السنة الرابعة، الملحق (٧)

This novel, as writers with our literary and critical interests, can be considered part of the literature of resistance, even though the march on foot from Najaf to Karbala was a peaceful march in every sense. However, the resistance was represented by that great determination and unparalleled enthusiasm to confront the tyrannical regime despite its tyranny, brutality, and armed forces.

## المقدمة

مظاهر عزاء الإمام الحسين ﷺ لها جذور عميقة في التاريخ الإسلامي الشيعي، إذ يولّي المسلمون الشيعة ذكرى مقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله اهتماماً بالغاً، فيقيمون بهذه المناسبة مراسيم العزاء طوال شهري محرم وصفر من كل سنة، والتي تتضمن مجالس الوعظ والإرشاد والتذكير بواقعة كربلاء ومواساة أهل البيت ﷺ. (المؤمن، ٢٠٢٠)

وقد مثلت تلك المناسبات الدينية مصدر الهام الجماهير المسلمة تستمد منها الروح الثورية الرافضة للظلم والاستبداد.

وهناك صور متعددة لإبراز مظاهر العزاء العاشورائية، لم تعد خافية للرأي العام، ومن أهم هذه الصور، المسيرة الراجلة إلى كربلاء بمناسبة مرور أربعين يوماً على استشهاد الإمام الحسين ﷺ، والتي تُسمى بـ(زيارة الأربعين). حيث أصبح لهذه المناسبة في العقود الأخيرة صدى إعلامي وجماهيري كبير، ودأبت الجماهير العاشقة للإمام الحسين بإحياء هذه المناسبة حتى في ظل الأنظمة الدكتاتورية والمستبدّة. وعندما أعلن نظام البعث في عام ١٩٧٧ منع تلك المسيرة في عموم العراق، تحدّى أبناء مدينة النجف ذلك الأمر، وأصرّوا على انطلاق المسيرة من مدينتهم إلى كربلاء.

فكان ما كان من أحداثٍ تم تفصيلها من قبل المؤرخين والباحثين المهتمين بهذا الجانب في مؤلفاتهم وبحوثهم ومقالاتهم.

وفي رواية (العروج الدامي) نجد الروائي عبد الله الميالي قد سعى إلى استدعاء الحدث التاريخي المتمثل بانتفاضة صفر ١٩٧٧ ليجعل منه عملاً أدبياً مستعيناً بخياله الأدبي المشحون برؤى فكرية متنوعة، إذ زاوج التاريخ بالأدب في عملية تلاقح أدبي تاريخي، لكي يمنح النص طابعه الفني والجمالي. فالأديب (ليس مؤرخاً يتقيّد بالحوادث التاريخية كما هي، بل هو فنان ماهر يملك أدوات تمكنه من أن يضيف أو يختصر ما يتفق بهدفه) (حمادي، ١٩٨٠).

## ثنائية الرواية والتاريخ

تبدو العلاقة بين الرواية والتاريخ وطيدة ومتينة العُرى، إذ تحاول الرواية المشتغلة على التاريخ أن تُحقّق جانباً من الانتقال من التاريخ النفعي المستثمر كنشاط تعليمي إلى التاريخ التخييلي، فما يشغل الروائي ليس البحث عن الموضوع التاريخي، بل فهم الدلالات التي هي بمثابة خيوط تثير فيه الرغبة في فهم الجانب الآخر من التاريخ الإنساني بحثاً عن مشروع حضاري تكون فيه الرواية تاريخاً ممكناً. (منصوري، ٢٠١٧)

العودة إلى التاريخ في الرواية لا تكون من أجل تثمينه واتخاذه لحظة يخلد إليها الكاتب الضمني كبديل للحاضر والراهن، ولكنه في الوقت نفسه خطوة إلى الوراء تعيد النظر في الذات الآخر ، كما تكون لحظة تقترح الفعل ووسائل تتجاوز النشاز التي تعيشه الذات في علاقاتها بالعالم. والتاريخ بتوظيفه في الرواية أصبح أكثر حيوية وحركية، حيث استثمرت مكنوناته الثمينة التي يتمتع بها بتحويل معانيه الأزلية

وخصائصه الأثرية إلى معطيات جمالية ودلالية، تبرز بشكل جديد في النص الروائي بحسب قدرات الروائي في المجال التناصي، وبذلك لم يعد التاريخ مجرد قطع أثرية شاخة تحتفظ في ذاتها بجمالها ومدلولاتها الخالدة.. والروائي لا يتحاور مع التاريخ في بعده التوثيقي، وإنما يتصوّر عالماً روائياً يعج بالحياة ليس التاريخ إلا خلفية له، ومجالاً يهبّ هذا العالم إحداثياته. (منصوري، ٢٠١٧) نفس المصدر، ص٥٠.

ينتقي الروائي مرحلة من التاريخ حافلة بالأحداث والشخصيات والأزمنة والامكنة، تتوافق مع رؤيته، فيعيد تشكيل واقع سردي متخيل، يحمل دلالات جديدة. تُنجز على أنقاض واقعيته، حيث تتداخل الشخصيات التاريخية المنتقاة من الماضي مع شخصيات متخيلة حديثة الولادة في بيئة زمكانية، هي الأخرى إما متخيلة أو من الواقع، تكون مسرحاً لأحداث تجمع بين الواقع المعيش أو المتخيّل، دون أن يظهر أيّ شرخ بين مكونات وعناصر هذا النمط السردي الهجين، الذي يتجاذبه هاجسان: الأمانة التاريخية، ومستلزمات الفن الروائي. (برقاد & عبدلي، ٢٠٢٠).

والروائي وهو يستدعي التاريخ في روايته، فإنما يكون وجه وشكل آخر للمؤرخ ولكن بطريقته الفنية، فهو «مؤرخ من نوع فريد لأنه يصون جوهر مسافة زمنية معينة من العدم، من التلاشي في هذا الفراغ الكوني الرهيب المسمّى بالزمن» (أقلمون، ٢٠١٠).

والرواية التي تستلهم التاريخ إنما هي تفاعل بين الروح التاريخية والأنواع الأدبية، فما يهم في الرواية التاريخية ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث، وما يهم هو أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم إلى أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماماً في الواقع التاريخي. (الشمالي، ٢٠٠٦).

بقيت مأساة كربلاء الدامية حيّة في الذاكرة، وفي القلوب وفي الوجدان، وانعكست في الاحتفالات السنوية بذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، التي استمدت من تضحيته ينبوعاً خصباً وثراءً لا ينضب من المعاني والدروس، وأصبحت مثلاً أعلى في النضال والتحدّي والكرامة، والفداء في سبيل الحق والعدالة والحرية. (الحيدري، ١٩٩٩)

ومما لا شك فيه أن مأساة كربلاء الدامية قد أنتجت عبر الأجيال ما يُعبر عنه بظاهرة العزاء الحُسيني، الذي يتخذ صوراً متعددة تهدف بمجملها إلى مواساة النبي محمد صلى الله عليه وآله.

وظاهرة العزاء الحسيني ليست وليدة الحاضر الراهن وليست نتاج لحظات آنية وعابرة ومنعزلة عن الظروف والشروط الاجتماعية التي أنتجتها، وإنما هي وليدة إرهاصات تراكمت عبر واقع موضوعي امتد عميقاً في التاريخ العربي والإسلامي وتجذّرت في الذاكرة الشعبية وتداخلت فيه عوامل المكان والزمان بحيث كوّنت وعياً جمعياً تكوينياً امتد إلى عمق الحاضر المعيشي لتظهر على شكل شعائر ومراسم عبّرت وما زالت تعبّر عن عمق وعراقة مأساة كربلاء في ذاكرة المسلمين.. وتحوّلت ظاهرة العزاء الحسيني كرؤية دينية أساساً إلى شكل من أشكال الرفض والاحتجاج ضد الرؤية الأيديولوجية الرسمية، والتي تحوّلت في كثير من الأحيان إلى ضرب من ضروب المقاومة الملجومة. (الحيدري، ١٩٩٩) - نفس المصدر، ص١١

استدعت الروايات العربية سواء الواقعية أو الاجتماعية أو السياسية أو التاريخية، القضية الحُسينية بشكل عام ومراسم عاشوراء بشكل خاص، باعتبارها ظاهرة تشكل جزءاً من النسق الثقافي للمجتمع العراقي (الشيعي تحديداً)، فلا يمكن إغفالها أو تجاوزها في السرديات الاجتماعية أو الواقعية سواء كان السارد معا أو ضدها. ومن هذه الروايات على سبيل المثال لا الحصر:

١. رواية (صيّادون في شارع ضيق) للروائي الفلسطيني المولد العراقي الجنسية جبرا إبراهيم جبرا (١٩٢٠ – ١٩٩٤) صدرت في عام ١٩٦٠ باللغة الإنجليزية، وفي عام ١٩٦٧ تُرجمت إلى اللغة العربية من قبل د. محمد عصفور.

٢. رواية (عراقيون أجناب) للروائي العراقي فيصل عبد الحسن، صدرت في المغرب في عام ١٩٩٩.

٣. رواية (مغنّي الأزهار البرية) للروائي العراقي مهدي النجار (١٩٤٥ – ٢٠١٠) الصادرة عن مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي، بغداد – ٢٠٠٩.

٤. رواية (أوراق من ذاكرة بانيقيا) للروائي العراقي عبد الهادي الفرطوسي، الصادرة عن دار العارف للمطبوعات، بيروت/ النجف – ٢٠١٢.

٥. رواية (سيد بغداد.. قصة جيمي الجندي الأمريكي الذي اكتشف سر عاشوراء) للروائي اللبناني د. محمد الطعان، تعريب صلاح سالم، صدرت عن دار المحجة البيضاء، بيروت – ٢٠١٢.

بيد أن أهم ما رصدناه في هذا الجانب الأدبي هو رواية أدبية ممتعة ومهمة أرشفت لمسيرة زيارة الأربعين لعام ١٩٧٧ باعتبارها إحدى أهم أشكال ظاهرة العزاء الحُسيني في العصر الحديث. وهي رواية (العروج الدامي) للقاص عبدالله الميّالي من مدينة النجف الأشرف، وهي الرواية الفائزة في مهرجان السفير الثقافي العاشر لعام ٢٠٢١ ، وهو المهرجان الذي تقيمه سنوياً أمانة مسجد الكوفة المعظم. وهذه الرواية يمكن لنا كأدباء لدينا اشتغالاتنا الأدبية والنقدية أن نعدّها ضمن أدب المقاومة، وإن كانت المسيرة الراجلة من النجف إلى كربلاء مسيرة سلمية بكل المعاني، ولكن المقاومة تمثلت بذلك الإصرار الكبير والحماس منقطع النظير على مواجهة النظام المستبد رغم جبروته وبطشه وقواته المسلحة.

## عنوان الرواية:

العنوان هو مفتاح الكتاب، وهو حلقة التعارف الأولى ولحظة التجسير الأساسية بين القارئ والنص من جهة، وبين ما هو مجهول (أو ما هو في طور التشكّل) يتعرف عليه القارئ بالتدريج، ليصبح بعد ذلك المجهول معلوماً من جهة ثانية. وهو بذلك يمثل عتبة ممهدة لولوج عوالم النص. وفي مجال الخطاب الروائي يؤسس العنوان موقعه الخاص والمتميّز، انطلاقاً من بنيته التركيبية والسيميائية، كما يعلن عن وجوده بصفته نصّاً مصغّراً، ومكوّناً متميّزاً. (أشهبون، ٢٠١١)

وعنوان رواية (العروج الدامي) يعطي دلالة قدسية لأرواح الشهداء الذين ضحّوا بأرواحهم من أجل إحياء ذكرى واقعة الطف، وفاءً لاستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه من أجل الحق والعدل والمحافظة على جوهر دين جده محمد صلى الله عليه وآله، ومقاومة الفساد والتنكر للمبادئ من قبل آل أمية بزعامة معاوية وابنه يزيد الذي نصّب نفسه خليفة للمسلمين بالوراثة بقوة السيف والمكر، وإفساد النفوس بالمال والمناصب والمكاسب.

يشبّه الروائي أرواح الشهداء الصاعدة إلى السماء، بحدث عروج النبي محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى ضمن حدث الأسراء والمعراج، انه التسامي الروحي للشهداء الذين سقطوا في طريق النجف كربلاء، وأرواح الشهداء الذين أعدمهم نظام البعث بعد قمعه للمسيرة الجماهيرية الإيمانية الراجلة لأحياء ذكرى أربعينية استشهاد الأمام الحسين في صفر من عام ١٩٧٧.

## (العروج الدامي) رواية تاريخية:

العمل الأدبي هو نتاج فكري مرتبط بعلاقات متداخلة مع الأحداث والمواقف الاجتماعية والتاريخية والسياسية والدينية والثقافية، وهو غالباً ما يأتي كاستجابة لسياقات يفرضها الواقع.

يفتتح الطيب بو عزة كتابه (ماهية الراوية) بالقول: «إذا كان ثمة جنسٌ أدبي يبدأ في تكوين وعينا وتشكيل أسلوب إدراكنا لذواتنا وللوجود، منذ طفولتنا وبدء تفتّح قدرتنا الذهنيّة، فلا شك أنه الراوية، إذ منذ الصغر يسكننا ذلك العشق الغريب لفعل السرد، فنُلحّ على من يحيط بنا لكي يحكي ويسرد ويقُصّ» (بو عزّة، ٢٠١٦)

ولذلك نجد هذا التعالق الصميمي بين الرواية والحياة، ليس في حيوية شكلها وأساليب انتظامها فحسب، وإنما في ارتباطها المتصل بكينونة الإنسان.

الحدث التاريخي يكتبه المؤرخ المختص بأخبار الزمان والمكان في عصر معيّن، هذا المؤرخ قلما يكون محايداً في كتابة التاريخ حيث يغلب أن يُكتب التاريخ من قبل السلطات الحاكمة وحواشيها وذكر الأحداث وبواعثها ونتائجها بما ينسجم مع رأي السلطة الحاكمة، فالمؤمن يُسمّى زنديق، والثائر يُسمّى خارج عن الدين،

وهذا ما وصُفت به الكثير من ثورات وانتفاضات العلويين في التاريخ الإسلامي باعتبارهم من الخوارج أو الخارجين عن الدين وعن حكم خليفة المسلمين، وقد حاول يزيد بن معاوية توصيف الإمام الحسين عليه السلام وحركته الإصلاحية بذلك، لولا أن عرّته وكشفته وفضحته السيدة زينب عليها السلام، عندما كشفت للناس حقيقة القضية، وأنّ يزيد قتل ابن بنت رسول الله لأنه جاء لإصلاح دين جده محمد صلى الله عليه وآله من خلال الدعوة للعدالة والصلاح وإعطاء الحقوق للناس ونبذ مظاهر الفساد والإنحراف .

كذلك هناك مؤرخ وإن بدا محايداً ولكنه غالباً ما يهمل الفاعل المستتر في صنع الحدث والتركيز فقط على البطل الرئيس وكأنه هو صانع الحدث أو مفجّر الثورة والمضحّي الوحيد من أجلها. وإسدال ستار النسيان على الشخصيات الثانوية من صنّاع التاريخ فيظلمهم المؤرخ وينسى دورهم.

إنّ الأديب عندما يؤدبن التاريخ، ويحوّل الحدث التاريخي من سجل التاريخ إلى سجل الأدب، إنما يعمل على البحث والتنقيب عن أسبابه الحقيقية خلاف ما يكتبه المؤرخ الذي يظهر الحدث وكأنه عبارة عن نزاع وخلاف فردي بين شخصين: شخص الحاكم وشخص الثائر، وليس الثورة أو الانتفاضة او المواجهة أو التحدي، إنما هو هي نتيجة تراكم ظلم وعسف وقهر الحاكم أو النظام المستبد للرعيّة، فيتحول هذا التراكم للسخط من كم إلى كيف، يكون للبطل دوراً مميزاً في التخطيط وهندسة الثورة، ويبادر إليه ويشعل فتيله ممثلاً لإرادة الجماهير الغاضبة المظلومة الثائرة والطامحة بالتغيير من أجل حياة أفضل.

وهذا ما يستدعي من الأديب أن يخلق شخصيات فاعلة في الحدث أهملها المؤرخ، فيرفع عنها غطاء التهميش والإقصاء من قبل المؤرخ، وإن كانت هذه الشخصيات وهمية من حيث السرد الروائي ومن تخليق وتصنيع الروائي ولكن جذورها راسخة في واقع الحدث ومجرياته، ولولا وجودها وتفاعلها الإيجابي لِخلق الحدث ولإشعال فتيل الثورة لا يمكن أن يكون حضوراً.

وإذا كانت الرواية التي تستدعي الحدث التاريخي، تهدف إلى خلق صورة جديدة للنص مؤطر ة بلمسات الكاتب الإبداعية وانفتاحه على عالَم الخيال الواسع، للوصول إلى تلك الصورة الفنية والجمالية المطلوبة، فإننا نلمس ذلك جليّاً في في رواية (العروج الدامي) للروائي عبد الله الميالي، حيث رافق الشخصيات الواقعية بأسمائها وعناوينها الحقيقية، وأسماء أخرى خلقها وابتدعها مصنعاً إياها من خامات الواقع القائم آنذاك وكان لها باعاً طويلاً في الحدث وتطوراته.

فبالإضافة إلى الشخصيات الفاعلة المهمة التي خلقها الروائي من مواد وحيثيات الواقع ومتطلبات الحدث مثل (سيد مرتضى الهاشمي، وصبري الخطاط، وغيرهما) ، استحضر أيضاً الشخصيات الحقيقية المتمثلة في (عبد الأمير الميالي، سيد وهاب الطالقاني، صاحب أبو گلل، عباس عجينة، جاسم الأيرواني، الحاج صالح دبس، المعلم رحيم الخفاجي، سيد موسى العميدي، وشخصيات أخرى) .

إنّ أدبنة التاريخ تعطي للروائي ميزة توصيف وتأثيث شخصيات الحدث من حيث الشكل والعلامات الفارقة، فيظهر أمام القارئ صورة مجسّمة من كافة النواحي ولا يسقط اسماً مجرداً من صفاته وعلاماته الفارقة كما يذكره المؤرخ.

وبعد أن يكتب الروائي روايته بعد فترة من السنين، أو بعد زمن قد يطول وقد يقصر حسب الحدث والظروف المحيطة بالكاتب، ستكون أمامه الكثير من التفاصيل والبيانات والشهادات التي لا يمكن الحصول عليها وقت الحدث، وحتى بعده بسنوات، وعلى وجه الخصوص الكتابة عن الثورات والإنتفاضات ضد الأنظمة القمعية، فمثل إنتفاضة صفر في عام ١٩٧٧ ، لم يتمكن الروائي الكتابة حولها إلا بعد سقوط النظام الديكتاتوري بسنوات، وهنا سيختلف الروائي أو الأديب عن المؤرخ في رواية الأحداث والكشف عن الاشخاص الحقيقين المساهمين في الإنتفاضة، ومن خلال مجرياتها التي كشفت له زمن كتابتها تمكنه من تخليق الشخصيات الفاعلة المسكوت عنها أو المستترة المساهمة في الإنتفاضة، ومن ضمنها الشخصيات العسكرية، والأمنية سواء بمستوى قيادات أو مراتب كانت متعاطفة ومتعاونة مع الثوارفي حينها . فالسرد الروائي الذي يتكئ على حوادث تاريخية، إنما هو على رأي أحد النقاد: «محاولة لملء وترميم تلكم الثغرات والفجوات المنسية، وإضاءة المناطق المُعتمة بواسطة الفن» (رحيم، ٢٠٠٨)

هناك الكثير من الروايات على مستوى الوطن العربي والعالم قد وثقت للانتفاضات والثورات الشعبية، وكان لها دوراً كبيراً في توضيح مجرياتها، وأهدافها مما ساعد كثيراً في تخليدها ووصول رسالتها إلى الأجيال وتخليدها في ذاكرتهم ما بعد الحدث وربما لقرون، وهي روايات تاريخية برز في كتابتها أسماء لامعة في الوسط الأدبي العربي ومنهم: (جرجي زيدان) في روايته (غادة كربلاء) وغيرها من روايات تاريخ الإسلام، وواسيني الأعرج في روايته (الأمير)، وعبد الرحمن منيف في (ثلاثية مدن الملح)، وعبد الوهاب عيساوي في روايته (الديوان الإسبرطي)، وأيمن العتوم في روايته (وأنا يوسف) وروايات تاريخية لرضوى عاشور، ونجيب محفوظ، ونجيب الكيلاني، وجمال الغيطاني، وكمال السيد، وحميد الحريزي، وغيرهم.

وفي رواية (العروج الدامي) نجد الروائي يربط الحدث بالمكان والزمان، وما يعكسه المكان والزمان على الحدث في خصوصية تكسبه واقعية حية يعيشها القارئ أثناء القراءة فتكتمل لديه الصورة وكأنه يعيش الحدث بكل تفاصيله، فالزمان (نهار، ليل، فجر، مساء، غسق، الخ) ، والمكان (ساحة، مسجد، شارع، زقاق، سوق، مقهى، بيت، مقبرة، صحراء، بستان، ضريح، الخ) ، والمناخ (صيف، شتاء، ربيع، خريف، حار، بارد، معتدل، ممطر، صحو، غائم، عاصف، هادئ، الخ) فيبدو السرد وكأنه عرض سينمائي للحدث ومجرياته وظروفه من كافة الجوانب الشخصية والمناخية والمكانية والزمانية .

يبدأ الفصل الأول: في عام ١٩٦٢م

الفصل الثاني: في تموز عام ١٩٧٣م

الفصل الثالث: في كانون الأول عام ١٩٧٦م

الفصل الرابع: في كانون الأول لعام ١٩٧٦م

الفصل الخامس: في كانون الأول ١٩٧٦م / ذو الحجة ١٣٩٧هـ

الفصل السادس: في كانون الأول لعام ١٩٧٦م / محرم ١٣٩٧هـ

الفصل السابع: في شباط ١٩٧٧ / صفر ١٣٩٧هـ

الفصل الثامن: في شباط ١٩٧٧ / صفر ١٣٩٧هـ

الفصل التاسع: في شباط ١٩٧٧ / صفر ١٣٩٧هـ

الفصل العاشر: في شباط ١٩٧٧ / صفر - ربيع الأول ١٣٩٧هـ النهاية، حيث استشهد نتيجة أحداث الانتفاضة عشرة أفراد، أحدهم أثناء المسيرة (عبد الأمير الميالي) والبقية عن طريق الإعدام شنقاً بقرار من المحكمة: (١- وهاب الطالقاني، ٢- صاحب رحيم ابوكلل، ٣- جاسم صادق الإيرواني، ٤- عباس هادي عجينة، ٥- محمد سعيد البلاغي، ٦- يوسف ستار الاسدي، ٧- ناجح محمد كريم، ٨- كامل ناجي مالو، ٩- غازي جودي خوير.)

في رواية (العروج الدامي) أجاد وبرع الروائي في ثنايا السرد الروائي مولياً ما ذكرناه آنفاً اهتماماً كبيراً فأكسب الحدث واقعية جلية وعرض أمام القارئ جزئيات مسار الأحداث من حيث الهيأة للفرد، والمكان والزمان، وحالة الطقس والبيئة المحيطة بالأحداث، فطاف بنا الروائي عبر السرد المجسّم في أبعاده كافة في: (ضريح الإمام علي عليه السلام، شارع الرسول، شارع الصادق، شارع زين العابدين، شارع الطوسي، ساحة الميدان، السوق الكبير ، محلات الحويش والبراق والمشراق والعمارة، حُسينية كاشف الغطاء، مسجد الكوفة، خرائب قصر الإمارة، شط الكوفة، بحر النجف، المشخاب، غماس، الحيدرية،الحمزة الشرقي، مرقد السيد أحمد الغريفي، وخانات استراحة الزائرين في طريق نجف كربلاء، وأماكن غيرها) شكلت الفضاء الروائي للنص. واستضاف القارئ مع شخصياته في العديد من المقاهي الشهيرة في النجف الأشرف كمقهى (اللنكراني) ومقهى (عيدان) ، كما لم يغفل الكاتب أن يدلنا على أبرز المكتبات وأشهر الكتبيين (المكتبة الحيدرية) لصاحبها محمد كاظم الكتبي في الحويش، ومدى اهتمام الفرد النجفي بالكتاب ومتابعة قراءة الكتب الأدبية والتاريخية والثقافية والجرائد والمجلات.

وهنا يجب التنويه أنّ الروائي لا يمكن أن يكون محايداً وبدون موقف من الأحداث، ولكنه لا يظهر موقفه بشكل مباشر وإنما يبث فكره وموقفه من خلال شخصيات الرواية سواء الرئيسة أو الثانوية وهذا ما يميز الأديب عن السياسي، والروائي الميّالي في روايتنا هذه واضح موقفه المساند للانتفاضة والمنتفضين وعدالة قضيتهم ويدين النظام الفاشي الحاكم، كما أنه واضح الميل إلى إبراز هويته الإسلامية المعتدلة.

## الأهداف النبيلة تتجاوز الأيدولوجيات الضيقة:

يهتم الروائي بإلقاء الضوء الكاشف على سؤال مهم، ألا وهو طبيعة العلاقة بين، مختلف التوجهات الفردية والسياسية المناهضة للديكتاتورية، وفي الخصوص مناهضتها للشعائر الدينية في مدينة تعتبر معقلاً للمذهب الشيعي في كل العالم، كما أنها مثلت الرأس الفاعل للفكر والنشاط اليساري في تلك الفترة في العراق مما يبدو وكأنه أمر غريب ومتناقض، فالنجف أنجبت ابرز القادة اليساريين من جهة، كما أنجبت العشرات من القادة الإسلاميين من جهة أخرى. وعلى الرغم من التجاذبات الفكرية والسياسية والعقائدية بينهما بشكل عام، إلا أن العلاقة بين اليساريين والإسلاميين شهدت تعاوناً وتضامناً كبيراً لتحدي السلطات والأنظمة المستبدّة والديكتاتورية، باعتبار هذه القوى أكثر الفئات الاجتماعية عرضة للقهر والظلم والإقصاء والتهميش عبر التاريخ القديم والحديث. كذلك هناك جذر فكري يربطهما، إذ يلتقيان من حيث الأهداف النهائية المنشودة للبشرية لكل منهما، ألا وهو أقامه العدل والمساواة على الأرض وخلاص الإنسان من القهر والظلم والاستغلال والاستبداد.

في الرواية محل دراستنا هذه، يجسد هذا التضامن، شخصية اليساري (صبري الخطاط) الذي عانى الكثير من الأذى على أيدي البعث وعلى وجه الخصوص من قبل ناظم كزار وزمرته الفاشية مما أضطره لترك دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة ليحترف الخط والرسم بعدما فُصل من الكلية بدعوى الغياب نتيجة سجنه، وهو شاب غير متدين ضمن التوصيف العام، ولكن كانت له صداقة حميمية ووثيقة مع السيد مرتضى المتديّن المسلم المتحمّس لإحياء المناسبات الدينية في النجف وأهمها مراسيم عاشوراء. وكذلك اليساري الشاعر (عباس عجينة) الذي أُعدم على يد زمرة البعث بمحاكمة صورية بعد قمع الإنتفاضة .

إن الطرفين كلاهما يجمعهما حبّ الإمام الحسين ﷺ ومبادئه وحركته الإصلاحية ضد الظلم والطغيان الأموي بغض النظر عن الخلافات الأيديولوجية والفكرية والفلسفية بينهما. فصبري الخطاط وعباس عجينة كانا خارج الخط الرسمي لقيادة اليسار آنذاك التي كانت متحالفة مع البعث خلافاً لإرادة الكثيرين فيما سمي بالجبهة الوطنية في ذلك الوقت. خصوصاً وأن تلك الانتفاضة الجماهيرية العفوية لم تكن تتبنى أية مطالب سياسية معلنة، بل كان كل همها ممارسة شعائرها الدينية التي توارثها أبنائها عبر الأجيال، فقد صوّر النظام الفاشي تلك الانتفاضة السلمية العفوية في خطابه الرسمي بأنها حركة ومؤامرة رجعية متحالفة مع قوى خارجية للإطاحة بالنظام واستهداف لمكاسب وأهداف ثورة تموز ١٩٦٨ بزعمه.

وجدنا في الرواية إشارة فطنة من قبل الروائي بكون الثوري الصادق مع مبادئه لم يفرض آرائه وأفكاره على الآخرين حتى وان كانوا من خاصته، بدلالة أنّ صبري الخطاط لم يعارض ولم يقمع أخته سعاد من قراءة مؤلفات السيدة بنت الهدى شقيقة

السيد الشهيد محمد باقر الصدر، ولم يقف بوجه حبها للسيد مرتضى الهاشمي وهنا يثبت الحب بأنه عابراً للأيديولوجيات.

صبري الخطاط اليساري الهوى، هو من خَط وصَنع، وأخته سعاد هي من خيّطت وأعدّت الأعلام الخضراء التي ستكون في أيدي المنتفضين والزائرين، فلا يهم أنْ تكون الأعلام حمراء يسارية أو خضراء علوية، ولكن المهم أنْ تتحدّى الظلم والقهر والتسلط وتنشد الحرية.

كذلك فأنّ عباس عجينة اليساري الهوى، والذي أعلن للنجفيين مكان وموعد التجمع والانطلاق أمام محافظ النجف ومدير الأمن: (غداً الجمعة الساعة الحادية عشرة صباحاً جميعنا مستعدون للمشاركة والانطلاق بمسيرة الأربعين الراجلة إلى كربلاء) ص١٣٣ من الرواية. وهو الذي كان يلهب مشاعر الزوار بأهازيجه الشعبية الجريئة ويحثهم على الصمود لمواجهة وتحدي السلطات المستبدة.

عبد الأمير الميالي الشاب اليافع المتديّن القادم من مدينة الحمزة الشرقي مع عائلته ليستوطن في مدينة النجف، يقدم روحه قرباناً على طريق الحرية، ليكون أول شهيد يسقط على طريق كربلاء برصاص الأمن البعثي الفاشي، والذي سيختلط دمه مع دم عباس عجينة اليساري الذي أعدمه البعث لاحقاً.

كما لا يخفى دور الشاعر المعروف عبد الحسين أبو شبع وقصائده الحسينية الثورية الرائعة وهو ينتصر فيها للحق والعدالة والسلام ويمجد الدور البطولي للإمام الحسين وأنصاره ولكل شهداء الحركات الثورية العلوية وغير العلوية في الثورة على الظلم والاستبداد في مختلف العصور ومن مختلف العقائد والأفكار، وهو صاحب القصيدة الشهيرة (عالمية)، مما أضطر أزلام نظام البعث أن يدسوا له السم

في دائرة الأمن في النجف وقتله مسموماً لإسكات صوته الهادر من أجل العدالة والحرية. كذلك الدور المشهود لفاضل الرادود الدليمي وهو من أقارب الشهيد البطل نجم البقال الذي أعدمه الانكليز أبان ثورة النجف ضد الاحتلال الانكليزي في عام ١٩١٨.

كذلك أشار الروائي إلى أنّ قضية العدل والحق والأهداف النبيلة تستقطب كل الناس من أصحاب الضمائر الحية ومن مختلف الشرائح والطبقات الاجتماعية من عمال وفلاحين، وكسبة وتجار، وموظفين، وطلبة، وعسكريين، من مختلف المشارب والإتجاهات الفكرية: (حتى الذين يختلفون مع الفكر الديني وتمظهراته المختلفة كان لهم حضور هم، كالشيوعيين والقوميين بل ومن الذين ينتمون إلى حزب السلطة أيضاً) ص١٤٥ من الرواية.

وقد تجسّد هذا الأمر في مختلف الانتفاضات التي خاضها الشعب العراقي ضد المحتلين في انتفاضة الوثبة ١٩٤٨، وانتفاضة ١٩٥٦ وغيرها، وضد الديكتاتوريين والفاسدين تجسد ذلك في انتفاضة صفر عام ١٩٧٧، وانتفاضة آذار/ شعبان في ١٩٩١ وما تلاها من الانتفاضات الشعبية.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
رمضان - ١٤٤٧ هـ / آذار - ٢٠٢٦ م

## خذوا الحكمة من أفواه المجانين:

لم يغفل الروائي عبد الله الميالي موقف المجانين من رفض الظلم والقهر والانتصار، للحق فملّح سرده الروائي بشخصية (سلّومي فلس)

هذا المشرّد الموصوف بالجنون والخبل الذي لا أحد يعرف له أهل ولا أصل ولا من أين أتى إلى النجف ولماذا هو بهذا الحال؟ فمنهم من قال أنه شيوعي أصابه الجنون نتيجة التعذيب من قبل السلطات الأمنية للنظام الفاشي، ومنهم من قال بأنه هارب من مستشفى الشماعية، ومنهم من قال بأنه جاسوس زرعته السلطة بين صفوف الناس لالتقاط الأخبار ومتابعة المعارضين والثوار ونقل أخبارهم للأجهزة الأمنية، ومنهم من يقول انه من بقايا اليهود في العراق واسمه (شالومي)!

كان (سلّومي فلس) الذي لم يكن يطلب من الناس أكثر من فلس، (عمي فلس .. عمي فلس) وإذا أعطاه أحدهم أكثر من فلس، خمسة فلوس مثلاً يهتف باهزوجة (عاش الزعيم الزوّد العانة فلس) حيث كانت في العهد الملكي (عانة) عملة معدنية تعادل أربعة فلوس والدينار يعادل ألف فلس، فأصبحت في العهد الجمهوري القاسمي خمسة فلوس.

كان سلّومي يتلفظ بعبارات تدل على الحكمة والنظرة الثاقبة الجريئة التي لا تخرج إلا من أفواه الحكماء والعارفين، مثل (يمّه خلص عاشور، وطبرت مرتين.. مرّة على عمري الضاع، ومرّة على الحسين)، و(يا بو علي ما ننساك، أهل النجف كلهه وياك)، و( صعد لحم نزل فحم – ما بقه بجسمه عظم) ، و( وين يروح المطلوب النه – لازم ناخذ حقنه منه) ، و(شورّطك يبهلوي، هذا الحزب يشوي شوي).

وكان العديد من الناس وراء تحريك ودفع سلّومي لإشهار هذه المقولات مختفين خلفه خوفاً من بطش السلطات، وكان أبرز هؤلاء المحرّكين لسلّومي هو اليساري (صبري الخطاط) مقابل إعطائه بعض النقود أو لفّات الأكل أو قدح شاي.

مضمون الرواية:

كان أسلوب السرد الروائي خيطياً تتابعياً للحدث وللأشخاص منذ البداية حتى الذروة والختام، فقد تتبع الروائي حياة الشاب الشهيد عبد الأمير الميالي منذ ولادته في مدينة الحمزة الشرقي، ونموه وبلوغه سن الشباب ومن ثم انتقاله مع عائلته للسكن في مدينة النجف.

عبد الأمير المسمى بهذا الأسم من قبل والده تيمناً واستذكاراً لصديقه الشاعر الشعبي المعروف عبد الأمير الفتلاوي، في حين أسمته أمه بـ(حمزة) تيمناً بالحمزة الشرقي الذي يسّر ولادتها له بعد عسر، بالإضافة إلى نذرها الديك والذبيحة للحمزة، فاتفق الوالدان على أن يحمل المولود اسماً رسمياً عبد الأمير، وأسماً يتعلق بوالدته (حمزة) ، وهذه ظاهرة موجودة في المجتمع العراقي فكثيراًما يحمل المولود أكثرمن اسم، اسم رسمي واسم شعبي.

عبد الأمير يتعرف على السيد مرتضى صاحب المكتبة والذي ساهم كثيراً في مساعدة العائلة القادمة إلى النجف والعثور لوالد عبد الأمير عملاً يساعده فيه أولاده محمد وشقيقه عبد الأمير، فقد أستأجر له دكاناً لبيع الخضرة والفواكه وهي مهنة قريبة من خبرة أبي محمد كفلاح.

تشرّب عبد الأمير الفكر الحسيني الثوري من السيد مرتضى الهاشمي وبقية الشباب الناشط في هذا المجال في المدينة، فينحاز إلى جانب المنتفضين الزاحفين مشياً على الأقدام إلى كربلاء لإحياء ذكرى أربعينية الإمام الحسين عليه السلام.

حيث قرر أهالي النجف تحدّي قرار السلطة البعثية الحاكمة آنذاك بمنع المسيرة لعام ١٩٧٧ والإصرار على تنظيم المسيرة مهما كانت التضحيات.

من خلال متابعة الروائي لحياة عبد الأمير وتحولاته وتنقلاته وهمومه وتطلعاته يسرد لنا الروائي الكثير من الحكايات ويطلعنا على الكثير من الأحداث والمظاهر الحضارية والتراثية والعلمية لمدينة النجف من مزارات ومكتبات وساحات وأسواق ومكتبات، كما يعرض حكاية الانتفاضة وكيفية تنامي الوعي الثوري الرافض لظلم السلطة الديكتاتورية مستلهمين دروس وعبر تضحيات الإمام الحسين وأهل بيته وأنصاره ضد حكم بني أمية، وكيف قرر أهل النجف والمناطق المحيطة بها في غالبيتهم العظمى تحدي السلطات البعثية والمسير نحو كربلاء كعادتهم كل عام وبإصرار وتحشيد أكبر هذه المرة.

يسرد الروائي بالتفصيل مراحل تطوّر الانتفاضة من خلال الشخوص المشاركين والفاعلين في التحشيد والتأييد، ودور كل شخصية في الإعداد للمسيرة وانطلاقها، متتبعاً الأحداث بالأيام والساعات ومتنقلاً معها في الشوارع والساحات، من ساحة الميدان حتى الخانات الثلاث لغاية وصولها (حُسينية المْشاهْدَة) داخل كربلاء.

موضحاً كذلك موقف قوى السلطة من محافظ ومدير أمن وقيادات حزبية في التصدي للزائرين، وكيف تمت مواجهتهم من قبل رموز الانتفاضة بالرفض واتخاذ القرار الحاسم المعلن بالمضي قدماً نحو ضريح الإمام الحسين مهما كانت التضحيات حيث جاء ذلك على لسان صاحب أبو كلل، وعباس عجينة، وأعلن وقت الانطلاق ووزعت المهام على المنتفضين في تنظيم الصفوف وتوفير الأكل والمنام والمراقبة والحماية للزائرين. والقاء الضوء كذلك على دور المساندين للانتفاضة من المحافظات الأخرى، وقصابتها القريبة من النجف، وطريقة وصولهم ومشاركتهم على الرغم من المتابعة المشددة من قبل أجهزة الحزب، ولأجهزة الأمنية المختلفة، كل هذا حصل بسبب التعاطف الكبير للناس مع المنتفضين، ومع القضية الحسينية المقدسة لدى كل الناس بمختلف فئاتهم، وطبقاتهم، وتوجهاتهم، وأجناسهم، وأعمارهم...

اتخذت السلطات أكثر الإجراءات القمعية لصد المسيرة وبناءً على تعليمات مشددة من القيادة العليا للبعث في بغداد بأن تمنع المسيرة من مواصلة التقدم نحو كربلاء بأي ثمن، فأنزلت الدبابات والمدرعات على الشارع الرابط بين النجف وكربلاء، وقد حامت الطائرات الحربية الميغ مخترقة حاجز الصوت لإرهاب الزائرين ومحاولة صدهم وتشتيت قواهم واستعمال الرصاص الحي ضدهم، وكان أول شهيد هو الشاب عبد الأمير الميالي الذي أصبح قميصه الدامي مشعل حماس للزائرين للاستمرار وتحدي السلطة.

يشير الروائي إلى أنّ القائد العسكري من أصحاب الضمائر الحية والرافض للفتك بأبناء شعبه ومعاداة قضية الإمام الحسين، حيث تصرف بحكمة حينما انفرد بصاحب أبو گلل وأخبره بأنهم لا يريدون قمع المسيرة وإسالة دماء أبناء الشعب، وفي الوقت نفسه لا يريدون أن يعصوا أوامر السلطة، فاقترح عليه أن يسلك الزوار الطرق الترابية ومن خلال المزارع والبساتين لبلوغ هدفهم بالوصول إلى كربلاء دون الاشتباك بالقوات العسكرية، وكان له ذلك حيث اتفق الزوّار على السير في الطرق الفرعية والالتقاء في حسينية (المْشاهْدَة) في كربلاء التي لا تبعد أكثر من ٢ كيلو عن الضريح لإكمال مراسيم الزيارة.

كما أعلنت الحكومة كذبة كبرى، بأنها ألقت القبض على (محمد علي نعناع) العميل لسوريا وهو يحمل حقيبة من المتفجرات لتفجير الصحن الحسيني، لترعب الزائرين ولتبرر إجراءاتها القمعية ضد الزائرين بدعوى الخوف عليهم.

شكلت السلطات محكمة صورية وأصدرت أحكامها بإعدام تسعة من قادة المسيرة ليعرجوا شهداء إلى ربّ السماء دفاعاً عن الحق والعقيدة.

كما اعتقلت الحكومة المئات من الزائرين وزجهم في السجون وصدور أحكاماً قاسية بحقهم. وبذلك يسجل أبناء النجف مأثرة ثورية جديدة تضاف إلى تاريخهم المجيد في مقاومة الاحتلال العثماني والانكليزي، سواء في ١٩١٨ وما تلاها، ومقاومة الاحتلال الأمريكي في ٢٠٠٣ ليثبتوا لكل طاغية ومستبد أنّ النجف لا تصبر على ضيم ولا تخضع لطاغية وأنّ سكونها يستبطن عاصفة ستطيح بعروش الظالمين مهما طال الزمن.

مما يحسب للروائي والباحث عبد الله الميالي انه يقدم للقارئ تاريخ الكثير من الأشياء والأبنية والمشاهد الموجودة في المدينة، فمثلا أنّ الكشيدة صناعة نجفية أصيلة توازي الطربوش العثماني، وأنَّ حَمام الحضرة العلوية جلبه أحد أمراء الهند هدية للعتبة العلوية قبل ثلاثمائة سنة، فتكاثر حتى أصبح أسراباً كبيرة تحف بالمرقد الشريف ومنائر ومساجد المدينة المختلفة، كذلك تاريخ بناء العديد من المساجد والمكتبات والخانات المنتشرة على طريق النجف كربلاء (خان الربع وخان الحماد وخان النخيلة) ، فالميالي يبدو لي أنه درس تاريخ المدينة وتاريخ أغلب شخصياتها الفاعلة وتقاليد أهلها، والتعرف على المظاهر الحضارية والمدنية الهامة فيها، حتى انه لم يهمل الإشارة إلى المهمشين على حافات المدينة ومنهم الغجر، وهذا أمر هام ضروري، وهام جداً بالنسبة للروائي الذي يكتب رواية تاريخية.

من الواضح أنّ الميالي يمتلك ثقافة عامة رصينة مكنته من كتابة هذه الرواية بشكل رصين من حيث المعلومة وجمالية المفردة والأسباب الكامنة وراء غضب الجماهير فالرواية التاريخية (عليها أن تحدّد في الماضي الأسباب التي كانت وراء ما حدث بعد ذلك، وأيضا رسم السيرورة التي تطورت بشكل بطيء من خلالها وأحدثت هذا الواقع) أورهان باموق (الروائي الساذج والحساس)

كذلك اهتمت الرواية بالشعر الشعبي والفصيح والاقتباسات المتعددة بما يرصّن السرد ويعززه ويعطيه جاذبية ليكون غير ممل.

لم تخلُ الرواية من ذكر النقاط السوداء لبعض السلوكيات لبعض الأفراد الذين اشترتهم السلطة أو أرهبتهم ليكونوا من جواسيسها لرصد تحركات المناهضين لها ومنهم زوار كربلاء، فكان الشاب (سمير الجايجي) من هذه النماذج على الرغم من كونه مقرب ومحبوب من النجفيين كسيد هاشم وغيره، لكونه خفيف الدم ويحفظ الكثير من الشعر الشعبي الجميل، فقد أجاد دوره كعين راصدة لتحركات الثوار (الجايجي سمير كان بالمرصاد لكل شاردة وواردة، فدوّن بأنامله في تقريره السري كل ما رآه وسمعه، ثم ليلتحق بمقدمة المسيرة وقد ارتدى دشداشة سوداء ويردد شعارات الموكب.) ص ١٤٥ من الرواية.

وعلى الرغم من كون قادة المسيرة يمتلكون من الفطنة والفراسة لكشف المندسين والجواسيس كما يكشف لاعب المحيبس المحبس في يد اللاعب فارزاً إياه من بين عشرات أو مئات اللاعبين، وقد اصطلحوا على المندسين وقوى الأمن اسم (برغش)، ولكن سمير كان خافياً عليهم.

رواية (العروج الدامي) تضاف للعديد من الروايات التي أرّخت لمدينة النجف وأحداثها من قبل الروائيين النجفيين كرواية (فندق السلام) لمحمد سعد جبر الحسناوي، ورواية (ما انكشف من حجر الصوان) لمحمود جاسم عثمان النعيمي، وثلاثية (محطات) لحميد الحريزي، ورواية (باب الفرج) لزهير الجزائري، ورواية (مغنّي الأزهار البرية) لمهدي النجار، ورواية (يوم من أيام النجف) لمكي زبيبه، ورواية (أوراق من ذاكرة بانيقيا) لعبد الهادي الفرطوسي .

لقد أبدع الروائي عبدالله الميالي في توثيق هذه الانتفاضة الكبيرة والمأثرة الشعبية أدبياً وبأسلوب فني إبداعي رصين وهو القاص والباحث المبدع ومشروع روائي متمكن.

## رسالة الكاتب والرواية إلى القارئ:

بما أن لكل كاتب رسالة يبثها من خلال نصّه الأدبي إلى المتلقي، فما هي رسالة الكاتب عبدالله الميالي إلى قارئه من خلال روايته (العروج الدامي)؟ يمكن أن نُجمل رسالة الرواية بعدة نقاط:

١. استحضار قِيَم ومبادئ المصلحين والأحرار الذي انتفضوا ضد الظلم والفساد والطغيان، من خلال إصرار الجماهير على إكمال مسيرة زيارة الأربعين إلى كربلاء، وتحديهم قرار الحكومة بمنع المسيرة بالقوة.

٢. تشخيص اهتمام مدينة النجف بالجانب الفكري والثقافي والأدبي من خلال إشارات الرواية إلى المكتبات والصحف والمجلات ومزاد الكُتب الأسبوعي ومقطوعات الشعر المختلفة والرسم التي حفلت بها الرواية.

٣. الاهتمام بالجانب الإنساني من خلال التعايش السلمي بين معتنقي العقائد والأيديولوجيات، وبرز ذلك بشكل واضح من خلال العلاقة المتميزة بين (مرتضى الهاشمي) وهو يحمل الفكر الإسلامي، وبين (صبري الخطاط) وهو يحمل الفكر اليساري، فرغم جدالهما التقليدي حول مرجعهما الفكري والأيديولوجي فقد احتفظا بعلاقة صداقة عميقة، في رسالة واضحة إلى الجميع بأنّ الإنسانية عابرة للأفكار والأيديولوجيات، مذكرة الرواية بتلك العلاقة العميقة التي ربطت الشريف الرضي وهو السيد العلوي، بأبي إسحاق الصابي وهو على دين الصابئة حتى إذا توفي الصابئي رثاه الرضي بقصيدة عصماء من أجمل ما قالته العرب في الرثاء.

٤. أهمية تكاتف أفراد المجتمع مع بعضهم، وقد برز ذلك من خلال تكاتف الجماهير النجفية في إنجاح مسيرة الأربعين، فشارك معظم الأهالي فيها حسب استطاعتهم بغض النظر عن الحالة الاجتماعية والطبقية والحزبية والفكرية.

٥. تمسك الجماهير بإحياء طقوسها التي اعتادت عليها في المناسبات الدينية، سواء كانت تلك الطقوس تقع ضمن دائرة الفلكلور والتراث الشعبي كما هو موجود عند جميع شعوب العالم، أو هي تقع ضمن مرجعيات مستمّدة من المصادر الدينية والتاريخية.

الروائي عبد الله الميالي كاتب مبدع، قال كلمته في هذه الرواية، ولا شك أنّ كلمته منحازة إلى الإنسان والى حريته، وبحسب الناقد الروسي باختين: (الإنسان المتكلم في الرواية هو دائماً صاحب أيديولوجيا بقدر أو آخر، وكلمته هي دائماً قول أيديولوجي) (باختين، ١٩٨٧)

وهناك جوانب أخرى من الرواية ربما لم نتعرض لها، أو أوجزنا القول فيها، نتمنى أن تكون محل اهتمام النقاد الأعزاء لتظهيرها وإنارتها بما تستحق.

المصادر:

١. رواية (العروج الدامي) للقاص عبد الله الميالي، صدرت عن دار الورشة الثقافية، وتقع في ٢٠٠ صفحة، وتتألف من عشرة فصول، وهي الرواية الفائزة بالمركز الثاني في مسابقة الإبداع الفكري ضمن فعاليات مهرجان السفير الثقافي السنوي بنسخته العاشرة لعام ٢٠٢١ .

٢. علي المؤمن، (سنوات الجمر) ص١٧٠ ، مركز دراسات المشرق العربي، ط ٥ ، ٢٠٢٠.

٣. حمادي صبري مسلم، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، ص١٥٩ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – ١٩٨٠ .

٤. سميرة منصوري، توظيف التراث في الرواية المغاربية الجديدة، أطروحة دكتوراه، ص٥١ ، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة جيلالي ليابس، الجزائر – ٢٠١٧. (نسخة رقمية)

٥. المصدر نفسه. ص٥٠ .

٦. برقاد أحمد، عبدلي محمد السعيد، سردنة التاريخ بين المرجعية وجمالية التشكيل الروائي، مجلة (لغة – كلام) المركز الجامعي بغليزان، المجلد السادس، العدد الثاني، الجزائر – ٢٠٢٠.

٧. د. عبد السلام أقلمون، الرواية والتاريخ سلطان الحكاية وحكاية السلطان، ص٦٠ ، منشورات دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – ٢٠١٠ .

٨. نضال الشمالي، الرواية والتاريخ: بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية، ص١١٢ ، عالم الكتب الحديث، الأردن – ٢٠٠٦.

٩. إبراهيم الحيدري، تراجيديا كربلاء سوسيولوجيا الخطاب الشيعي، ص٩٣ ، دار الساقي، بيروت – ١٩٩٩

١٠. المصدر نفسه، ص١١ .
١١. عبدالمالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، ص١٤ ،محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق – ٢٠١١ .
١٢. الطيب بو عزّة، ماهية الرواية، ص٩ ، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، بيروت – ٢٠١٦ .
١٣. سعد محمد رحيم، السارد والتاريخ، مجلة دُبي الثقافية، العدد ٤٣ ، ص٩٢ ، دُبي – ٢٠٠٨ .
١٤. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص١٠٢ ، ترجمة: د. محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة – ١٩٨٧ .